

كتب التاريخ في المناهج الدراسية: التلاعب بالذاكرة الجماعية

كتبه بلال خريس | 22 سبتمبر, 2020



تنص قاعدة "التاريخ يكتبه المنتصرون" على أن تعيد الجهة المنتصرة صياغة التاريخ على هواها لتغذى الأجيال القادمة بمعلومات تلمع صورتها وتبرئ ذمتها، أما في لبنان، فقد تعدد المنتصرون وتعددت الروايات. لعل أكثر الأوجه شيوعاً عند سؤال الطالب اللبناني عما يتذكره من حصص التاريخ في سنوات الدراسة الابتدائية والثانوية هي: أسباب الحرب العالمية الأولى والجراد والاستقلال وقلعة راشيا.

يقف الزمن في كتب التاريخ اللبنانية عند هذا الحد، فلا يأتي على ذكر أحداث ما بعد عام 1943، ورغم تبني الدستور اللبناني والبيانات الوزارية المتعاقبة بند "تحديث وتوحيد المناهج الدراسية لواكبة العصر" (البيان الوزاري لحكومة حسان دياب 2020)، فإن تعتن الطاقم السياسي وإصراره على طمس حقيقة ما جرى حال دون ذلك ولا يزال.

بغض النظر عن الحجج التي تلجأ إليها السلطة لتبرير فشلها في إنجاز هذه الخطوة مراًواً وتكراراً، التي تتراوح بين حرص السلطة الحاكمة المزيف على صون السلم الأهلي إلى تمسك كل طرف بسيناريو الأحداث والنتائج الملائم له، تبرز اليوم، أكثر من أي وقت مضى، ضرورة ملحة للمضي قدماً وجدياً في هذا المسعى، فيقف لبنان حالياً أمام مفترق طرق مصيري، إذ تفتح له فرصة ذهبية، ولو كانت وعرة، للعبور إلى نموذج الدولة الحضارية الحديثة.

سردية واحدة

يستوجب العبور إلى العقد السياسي الجديد الكثير من الجهد أهمه على الصعيد التثقيفي التوعوي، يجب أن يبدأ العمل على تنقية نوعية المعلومات التاريخية المنقولة إلى الطلاب التي غالباً ما تحدد طبيعة فهمنهم للمجتمع والسياسة وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

وبما أن النظام المنشود هو الدولة المدنية التي تعامل الجميع سواسية تحت القانون بمعزل عن الانتفاء الطائفي والعقائدي، لا بد من عرض الحقائق التاريخية وخاصة الحديث منها كما هي دون أي تحوير أو غربلة بغية التعلم من أحداث الماضي الطائفية لتفاديها في المستقبل، كما لا يمكن بأي شكل القبول بالبقاء على مناهج تقارب التاريخ اللبناني من زاوية طائفية معينة، ناسفة بذلك مبدأ الانتفاء إلى الوطن واحترام المواطن.

كانت الأحزاب اللبنانية، الطائفية بمعظمها، قد استمدت تاريخياً قدرتها على ضمان الولاء الأعمى لها إما من خلال حجب الحقائق الموضوعية عن أنصارها (وهنا تدرج عدم الرغبة بتحديث كتب التاريخ والناهج التربوية) وإما عبر حشو أدمنتهم بما يرثونه عن أهلهم وببيتهم التي ما هي إلا معلومات منحازة مفصلة على قياس الطائفة والزعيم.

ينعكس هذا الواقع في نتيجة المسح الذي أُجري على 3.000 ولد بعمر الـ14 في 2007، حيث أظهرت النتائج أن الأكثريّة تذكر الشخصية التاريخية المنحدرة من طائفتهم. تعلق الدكتورة مها يحيى، باحثة مستقلة والمشفرة على الإحصاء، أن الأولاد يتشاربون القيم السياسية مباشرة من الأهل وليس المدرسة. وهنا تأتي أهمية ثورة 2019 التي تُعتبر محطة محورية من عمر لبنان الحديث حيث تمكّن خلالها جزء كبير من الشعب اللبناني ولأول مرة أن يتمرس على الطائفية ويخلع عباءة الزعامة، فقد أصبحت الأجيال الجديدة متعطشة لعرفة حقيقة ما جرى كي تكون بنفسها شخصية مستقلة و Hoeide سياسية اجتماعية تعكس طموحاتها ومتحررة من جميع القيود، لذلك يجب أن يتتصدر هذا المطلب سلم أولويات أي حكومة أو نظام دولة قادم.

كسر حالة التوريث

للأحداث السياسية والأمنية حضور دائم وثقيل في وجдан لبنان، وقد شهدت تفاقماً ووتيرة تصاعدية منذ العام 1975 إبان اندلاع الحرب الأهلية ولم تخمد مع انتهائِها عام 1990 وصولاً إلى اغتيال الشهيد رفيق الحريري الذي دول الصراع أكثر من ذي قبل وزاد بفضلِه حدة الانقسام والصراع الطائفي والمذهلي.

وقد حددت هذه الأحداث الأخيرة معلم وجه لبنان السياسي نظراً لتدخلها مع صراعات المنطقة والعالم، ما جعل تسليط الضوء عليها في المناهج التربوية أمراً حتمياً وضرورياً كي ينشأ جيل قادر على

تقييم الأحداث على أساس منطقية وتحليلية، وبالتالي كسر حلقة التوريث السياسي والتبعية العميماء لأحزاب الطوائف.

تمت آخر مراجعة لنهاج تعليم التاريخ بين عامي 1968 و1971، ومع انتهاء الحرب الأهلية، تشكلت العديد من اللجان للعمل على إنجاز هذه المهمة تطبيقاً لاتفاق الطائف لكن دون جدوى. يقول أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية عصام خليفة في إحدى مقابلاته: “اليوم يتم تعليم التاريخ حسب خط المدرسة السياسي والطائفي، للأسف لا توجد إرادة سياسية حقيقة لحل هذه المشكلة.”.

يظهر الانقسام حقاً ضمن المؤرخين أنفسهم، حيث يرى المؤرخ حبيب مالك أن “من الضروري ذكر الروايات المتعددة لكن في كتاب واحد وبجرأة”， فعلياً، الحل يمكن في استبدال هذه المنظومة وما تمثله بطبقة من المستقلين ذوي الكفاءة القادرين على الاتفاق على سرد موحد وموضوعي للتاريخ يُعاد تحديده كل 25 سنة كحد أقصى لتبقى الأجيال مثقفة ووعية وقدرة على تكوين هويتها باستقلالية.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/38379>